

المثال، الالزاس واللورين. فقد كان يهود هذه المنطقة من الاشكناز الذين يتحدثون البيديشية ويشغلون بالتجارة والربا غير مندمجين بمحيطهم الثقافي. وكانوا ينتمون الى التشكيل السياسي الالماني، ثم انتقلوا الى التشكيل السياسي الفرنسي، ثم عادوا الى التشكيل السياسي الالماني مرة اخرى، واستقر بهم المقام، بعد الحرب العالمية الاولى، كجزء من فرنسا، ولا يمكن لأقلية ان تحدد ولاءها وهويتها بما يتفق مع متطلبات الدولة القومية بسهولة في مثل هذا المناخ الذي تتغير فيه المتطلبات.

وقد كان الوضع اكثر سوءاً في «الجيب البولندي» الذي كان يضم معظم يهود العالم. فقد تم تقسيم بولندا بين ثلاث دول مختلفة، واحدة منها سلافية (روسيا) والاثنتان جرمانيتان، وقد ضُمَّت المانيا مقاطعة بوزن وألمنت يهودها، ولكنهم، مع هذا، ظلوا شرق اوروبيين. وحينما هاجرت اعداد كبيرة منهم الى المانيا، أدت هجرتهم الى تغيير طابع يهود المانيا، من طابع غرب اوروبي الى طابع شرق اوروبي. اما يهود جاليشيا، فظهر بينهم فريق ينادي بالثقافة الالمانية، وآخر ينادي بالثقافة البولندية، وثالث بالثقافة العبرية. وكان يهود اوكرانيا متعددي الولاءات والثقافات ايضاً. بعضهم اوكراني والآخر روسي والثالث الماني والرابع بولندي. وربما لو تواجد اليهود في بقعة جغرافية غير حدودية، لاصبح من السهل تحديثهم ودمجهم، كما حدث لليهود المانيا قبل الهجرة من شرق اوروبا، وكما حدث لليهود انجلترا والولايات المتحدة الاميركية بعد الهجرة.

والحل الصهيوني بين الصهيونيين واليهود ينبع من هذه الخاصية الحدودية، ويتقبلها. ولكن قبل أن نتناول بنية الحل الصهيوني الحدودية، قد يكون مما له طرافته، ودلالته، ان نذكر أن اول مؤتمر عقده، اعضاء «احباء صهيون» هو مؤتمر كاتوويتز، وقد عقد على الحدود بين المانيا وروسيا. وعقد اول مؤتمر للمنظمة الصهيونية العالمية في بازل، في سويسرا، في بلد حدودي محايد، لأن يهود ميونخ، التي كانت تضم واحداً من اكبر التجمعات اليهودية آنذاك، آثروا الاندماج ورفضوا الهامشية التي تطرحها الصهيونية. كما ان هرتسل نفسه، الذي اكتشف الصيغة الصهيونية بين اليهود، شخصية حدودية في الدرجة الاولى. فهو، اولاً، من وسط اوروبا التي تقع بين شرقها وغربها، وكان ينتمي الى الامبراطورية النمساوية المجرية متعددة الولاءات، وكان، شخصياً، مجريّ المولد، نمساوي النشأة، يهودي المنزع؛ وكان له ثلاثة اسماء، فكان يسمى زئيف (مجري) وتيودور (الماني) وبنيامين (عبري). وهو على الرغم من تعدد ولاءاته، كان هامشياً بالنسبة اليها جميعاً. ولعل هذا رشحه لأن يكتشف الصيغة الصهيونية الحدودية التي ترى اليهود جماعة حدودية. وعلى الرغم من ان الصهيونيين يدعون، في بعض التصريحات، بأنهم سوف يطبعون اليهود ويخلصونهم من هامشيتهم، الا ان البنية الحقيقية للفكرة الصهيونية هي بنية حدودية، ان صح التعبير. فاليهود - حسب الرؤية الصهيونية المسيحية واليهودية - شعب يقف على هامش التاريخ غير اليهودي، ولا يساهم فيه كثيراً. وهم شخصيات هامشية طفيلية يجب التخلص منها. وكان يشار الى اليهود باعتبارهم مادة بشرية يمكنها ان تضطلع بدور ريادي حدودي مفيد للحضارة الغربية. وقد كان ظهور محمد علي والقضاء عليه في العام ١٨٤٠ النقطة الحاسمة في تاريخ الصهيونية؛ اذ بدأت القوى الاستعمارية تكتشف خطورة توطين المنطقة تحت قيادة محلية، الامر الذي يفقد فلسطين حدوديتها، فسعت الى توطين اليهود كعنصر حدودي فيها، حتى تظل منطقة نفوذ غربية. وكان شافيتسبري ينوّه بفائدة العنصر اليهودي في هذا المضمار. اما لورنس اوليفانت، فقد طرح مشروعاً حدودياً بشكل مثير؛ اذ اقترح اقامة خط سكة حديد من استنبول الى بغداد، على ان تخصص منطقة بعرض فدانين، على جانبي الطريق، يوطن فيها اليهود.